إحباط الأعمال
في القرآن الكريم

أ .م.د.مكي وليد عبد الكريم
قسم القراءات القرآنية
كلية الإمام الأعظم

الملخص

هذا البحث بعنوان (إحباط الأعمال في القرآن الكريم) يُعنى بموضوع في غاية الأهمية، كونه يتعلق ببيان الحالات التي يزول فيها الثواب، ويحل عليها العقاب، على أعمال تبدو صالحة في ظاهرها، فقلب المرء وعمله قد يطرأ عليهما من الأمراض ما يفسدهما، وقد جاء القرآن الكريم ليكشف عن هذه الأمراض ويبين أسبابها وسبل علاجها، فمن أخطر الأمراض التي يصاب بها العمل حبوطه، فهو مرض عضال، إذا أصاب عمل المرء أفسده وأبطله، ففاته أجره وثوابه، بل ربما فاتته جميع أعماله وخسرها في الدنيا والآخرة، فجاء هذا البحث وفق الآتي:

ـ تمهيد، تحدثت فيه عن تعريف إحباط الأعمال.

ـ المبحث الأول، تحدثت فيه عن إحباط الأعمال في القرآن الكريم وأنواعها.

ـ المبحث الثاني، خصصته للحديث عن أسباب إحباط الأعمال، ووسائل حفظ الأعمال عن الإحباط.

ـ ثم أنهيت البحث بخاتمة بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

In the name of God Most Gracious Most Mer ciful

Abstr act

This r esear ch entitled “Frustr ate of the Wor ks in the Qur an” deals with a ver y impor tant subject, as it r elates to the statement of cases in which r ewar d is gone, and punishable for acts that to be good in appear ance them. One’s hear t and

wor k may be affected by diseases and spoil them. So the Qur an came to reveal these diseases and discover their causes and how to tr eat them. Because the most danger ous illnesses is makes the human fr ustr ated, if the wor k of any human - being was wrong, it will fr ustrate him, But maybe missed all his wor k and lost them in the wor ld and the back, So my resear ch was as follows:

- The fir sttopic: I spoke about the fr ustr ate of the works in the Quran and the kinds them.

- The second topic: I devoted it to talk about the reasons the frustr ation of works, and ways to keep the works from frustration.

- And then I finished the r esear ch and explained the most impor tant the results that concluded.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد؛ فإن الغاية القصوى، والذروة العليا ؛ أن يحظى العبد بقبول عمله عند الله تعالى، فأعمال الخير كلها حسنة، ولكن فيها ما هو أحسن، كما أن الأقوال الطيبة كلها جميلة، ولكن فيها ما هو أجمل، فالعمل ينبغي لقبوله أن يقصد العبد به رضا ربه وثوابه، ويحقق هذا القصد بأن يجعله هو الداعي له إلى العمل، وهو الغاية لعمله، وأن يكون عمله صادراً عن إيمان بالله ورسوله .

فقلب المرء وعمله قد يطرأ عليهما من الأمراض ما يفسدهما ، وقد جاء القرآن الكريم ليكشف عن هذه الأمراض ويبين أسبابها وسبل علاجها ، ومن أخطر الأمراض التي يصاب بها العمل حبوطه ، فهو مرض عضال ، إذا أصاب عمل المرء أفسده وأبطله ، ففاته أجره وثوابه ، بل ربما فاتته جميع أعماله وخسرها في الدنيا والآخرة .

ونظراً لخطورة هذا المرض، فهو جدير بأن يُفرد في بحث علمي مستقل لتتجلى صورته، وتُعرف أسبابه، فالعلاج الحقيقي لأي مرض من أمراض القلوب أو الأعمال لا يكون إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم ، فبه الهداية والشفاء .

لذلك جاءت دراستي بعنوان (إحباط الأعمال في القرآن الكريم)

أما أسباب اختياري الموضوع ، فمنها :

ـــ رغبتي في خدمة كتاب الله العزيز على قدر الوسع والطاقة ، التي نستمدها من الله سبحانه ، وهو الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ـ الرغبة القوية في الوقوف على أشكال هذا المرض الخطير وأسبابه ، ودراسته في

ضوء آيات القرآن الكريم .

ــ تسهيل الوصول إلى حفظ الأعمال ، وصيانتها عن الفساد والبطلان ، فمن علم الشر توقاه، ومن لم يعلمه وقع فيه .

وقد قسمت الموضوع بعد المقدمة إلى تمهيد ومبحثين ، تناولت في التمهيد: (تعريف إحباط الأعمال) ، ويتضمن:.

المطلب الأول : تعريف الإحباط لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف العمل لغة واصطلاحاً.

أما: المبحث الأول، فقد جاء بعنوان (إحباط الأعمال في القران الكريم وأنواعها) وفيه مطلبان :.

المطلب الأول : إحباط الأعمال في القران الكريم .

المطلب الثاني : أنواع إحباط الأعمال.

وخصصت المبحث الثاني للحديث عن : (أسباب إحباط الأعمال ووسائل حفظ الأعمال عن الإحباط) وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أسباب إحباط الأعمال.

المطلب الثاني : وسائل حفظ الأعمال عن الإحباط.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ، بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وأصحابه أجمعين.

تمهيد(في تعريف إحباط الأعمال)

اعتادَ الباحثون أن يقدموا لبحوثِهم بدراسةِ العنوانِ لغة و اصطلاحاً ، وجرياً وراء هذا الاعتياد جاء هذا التمهيد في تعريف إحباط الأعمال، ويتضمن :

المطلب الأول : الإحباط لغة واصطلاحاً

أ ــ لغة: مصدر قولهم: أحبط عمله يحبطه، وأحبطه الله، وهو مأخوذ من مادّة (حَبِطَ) التي تدل عَلَى بُطْلَانٍ أَوْ أَلَمٍ، يُقَالُ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَ الْكَافِرِ، أَيْ أَبْطَلَهُ ، يقال: حبط عمله حبطاً وحبوطاً: بطل ثوابه، والحبط: أن تأكل الماشية فتكثر حتّى تنتفخ بطونها، والإحباط (أيضاً) : أن يذهب ماء الرّكيّة فلا يعود كما كان[1]

والحبط: من آثار الجرح، وقيل الحبط وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله، يقال: حبط البعير حبطا، فهو حبط، والجمع حَباطَي وحَبَطَةٌ[2].

وفي الحديث الشريف ((عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِي يَقُولُ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ « لاَ وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلاَّ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً ثُمَّ

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م :٣/ ١١١٨ مادة (حبط) ، و مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م:٢/ ١٢٩ مادة (حبط) .

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨ه)، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ٣/ ٢٤٦ مادة (الحبط) ، ولسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط١٤١٤،٣ هـ :٧/ ٢٧٠ مادة (حبط) .

قَالَ « كَيْفَ قُلْتَ » قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ الْخَيْرَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ أَوَ خَيْرٌ هُوَ إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ ثُمَّ اجْتَرَّتْ فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ)) [1]

ضربه مثلاً للمفرط في الجمع (للمال) والمنع (من حقّه) ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ يُنْبِتُ أَحْرَارَ البُقول فَتَسْتَكْثر الماشية مِنْهُ لاسْتطَابَتِها إِيَّاهُ، حَتَّى تُنْتَفِخَ بُطُونُها عِنْدَ مُجَاوَزتِها حَدّ الاحْتمالِ، فتَنْشَقّ أمعاؤُها مِنْ ذَلِكَ فتّهْلِك أَوْ تُقَارب الْهَلَاكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِي يَجْمَع الدُّنيا مِنْ غَيْرِ حِلّها ويَمْنَعُها مُسْتَحِقّها قَدْ تَعرّض لِلْهَلَاكِ فِي الْآخِرَةِ بدخُول النَّار، وَفِي الدُّنْيَا بأَذَى النَّاسِ لَهُ وحَسدهم إِيَّاه، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الأَذَى [2] وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [3] كرهوا ما أنزل الله من التكاليف والأحكام

(١) صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت٢٦١ه) ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، (د.ت.ط) :٣/ ١٠٠ برقم (٢٤٦٨) كتاب (الزكاة) باب (تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا) .

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١، ٢٠٠١م :٤/ ٢٢٩ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : ٢/ ٤٠ ، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٢، ١٣٩٢ه :٧/ ١٤٣ .

(٣) محمد / ٩ .

فأحبط (أبطل ولم يقبل) أعمالهم لأنها لم تكن في إيمان [1]

ب ــ اصطلاحاً: هو إبطال الحسنات بالسّيّئات [2] بمعنى آخر إفساد ما كان نافعاً، أو على كون الشيء فاسداً ويظن أنه ينفع [3]

مما تقدم يتفق المعنيان اللغوي والاصطلاحي لكلمة الإحباط بأنها فساد عمل الإنسان وعدم تحقيق الغرض المقصود منه .

المطلب الثاني : العمل لغة واصطلاحاً

أ ــ لغة: مصدر قولهم عمل يعمل وهو مأخوذ من مادّة (ع م ل) الّتي تدلّ على كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُ، عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلاً، فَهُوَ عَامِلٌ؛ وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ، إِذَا عَمِلَ بِنَفْسِهِ، وَالْعِمَالَةُ: أَجْرُ مَا عُمِلَ، وَالْمُعَامَلَةُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ عَامَلْتُهُ، وَأَنَا أُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً. وَالْعَمَلَةُ: الْقَوْمُ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ضُرُوباً مِنَ الْعَمَلِ، حَفْراً، أَوْ طَيّاً أَوْ نَحْوَهُ ،وقيل العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عَمِلَ عَمَلاً. وأَعْمَلَهُ غيره واسْتَعْمَلَهُ ، واعتمل الرّجل: عمل بنفسه،

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م:٤/ ١٢١، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط٣،١٤٠٧ه :٤/ ٣١٩ .

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)،تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ،(د. ت. ط) :٥٧ .

(٣) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م:١٣٥ .

واستعمل فلان غيره إذا سأله أن يعمل له، واستعمله: طلب إليه العمل، واستعمل فلان إذا ولي عملاً من أعمال السّلطان، والاعْتِمَال: افْتِعال، مِنَ العَمَل: أَيْ أَنَّهم يَقُومون بِمَا تَحْتاج إِلَيْهِ مِنْ عِمَارة وزِرَاعة وَتَلْقِيح وَحِرَاسَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وأعمل فلَان ذِهنه فِي كَذَا وَكَذَا إِذا دبره بفهمه ، وأَعمل رأْيه وآلته واستعمله:

عَمِلَ به، ورجل عَمِلٌ وعَمُول إذا كان كسوباً، ورجل عمول بمعنى: رجل عمل أي مطبوع على العمل، وتعمّل فلان لكذا، والتّعميل: تولية العمل، يقال: عمّلت فلاناً على البصرة، أي قد يكونُ عَمَّلْتُه بِمَعْنَى وَلَّيْتُه وجَعَلْتُه عَامِلاً ، والعُمالة بالضّمّ، رِزْق

الْعَامِل الَّذِي جُعل لَهُ على مَا قُلِّد من الْعَمَل ، والعامل في العربيّة: ما عمل عملاً ما، وقيل هُوَ الَّذِي يتَولَّى أُمور الرَّجُلِ فِي مالِه ومِلْكه وعَمَلِه، وَمِنْهُ قِيلَ لِلَّذِي يَسْتَخْرج الزَّكَاةَ: عَامِل [1] .

ب ــ اصطلاحاً ــ المهنة والفعل، وهو يعمّ أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلّا ما كان عن فكر ورويّة ولهذا قرن بالعلم [2] فالأعمال لغة واصطلاحاً تعني كل فعل يفعل .

(١) ينظر : كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،(د. ت. ط):٢/ ١٥٣ ــ ١٥٤ باب (العين واللام والميم) ، وتهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري :٢/ ٢٥٥ مادة (عمل) ، ومقاييس اللغة ، ابن فارس :٤/ ١٤٥ مادة (عمل) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير :٣/ ٣٠٠ مادة (علم) ، و بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) ، تح :محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(د.ت.ط) :٤/ ١٠١ بصيرة في (عمر وعمق وعلم).

(٢) ينظر : الكليات ، أبو البقاء الكفوي :٦١٦ مادة (العمل) .

فإحباط الأعمال: إبطال الاعتداد بالأعمال المقصودة بها القُربة والمظنون بها أنها أعمال صالحة لمانع منع من الاعتداد بها في الدين[1] ويترتب على ذلك زوال آثارها المجعولة مرتبة عليها شرعاً، فيشمل آثارها النافعة من ثواب ونعيم في الآخرة ، وحياة طيبة في الدنيا [2] ولننتقل إلى مبحث جديد نتحدث فيه عن إحباط الأعمال في القرآن الكريم وأنواعها .

المبحث الأول : إحباط الأعمال في القران الكريم وأنواعها

تحدثنا سابقاً عن تعريف إحباط الأعمال لغة واصطلاحاً ، أما في هذا المبحث فسنتحدث عن إحباط الأعمال في القران الكريم وأنواعها، ويتضمن :.

المطلب الأول : إحباط الأعمال في القران الكريم

إذا عرضنا آيات القرآن الكريم ، فإننا نجد الكثير منها تحذر وتذم من أحبط عمله ، ومتوعدة عليه بالعقاب الغليظ، منها :

١ـــ قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ، ط١٩٩٧ م:٢١/ ٢٩٩.

(٢) المصدر نفسه:٢/ ٣٣٢ ، و٣/ ٢٠٧ .

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[1]

((عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ أَوْ عُبَيْدَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صُبَابَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ مَكَانَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: «لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ» ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَرَجَعَ رَجُلَانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ جُمَادَى، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ ﴾ الْآيَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصَابُوا وِزْرًا فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾[2][3]

لقد كره المسلمون القتال في الشهر الحرام فسألوا الرسول ﷺ عنه، فأمره الله تعالى أن يقول لهم: نعم إن القتال في الشهر الحرام إثم كبير، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراج المسلمين من مكة، وقد كان إيذاؤهم للمسلمين لإخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل، ولذلك أُبيح القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور، فهو عمل كبير يُتقى به ما هو أكبر منه. واعلموا - أيها المسلمون - أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجني والظلم، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يضعف أمام هجماتهم

(١) البقرة/ ٢١٧ .

(٢) البقرة / ٢١٨ .

(٣) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني=

ويرتد عن دينه حتى يموت على الكفر فأولئك بطلت وفسدت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون، فآخر الآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام [1] فالآية الكريمة تكشف لنا عن نفسية الكافرين وعزمهم الدائم على قتال المسلمين إلى أن يردوهم عن الإسلام ويخرجوهم منه، ولا شك أن من يرتد عن دينه، يذهب عنه نور البصيرة الذي يستفيده بالإيمان، ويموت وهو كافر، فقد حبط عمله الصالح ، فهو من أهل النار الخالدين فيها أبداً، فلنحذر من محاولات الكافرين في زعزعة الإيمان في نفوسنا ، فإن الإيمان الصادق الصحيح القوي يوجه الفكر والعمل توجيهاً صحيحاً يكون إشراقاً في العقل، واستقامة في كل فعل وقول.

٢ــــ قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرماً وأي جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر

(١) (ت: ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ،ط٢، (د.ت.ط):٢/ ١٦٢ برقم (١٦٧٠) (باب الجيم) (أَبُو السَّوَّارِ الْعَدَوِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ)، قال الهيثمي (رواه الطبراني ورجاله ثقات) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧ه) ، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ :٦/ ٢٩٤ برقم (١٠٣٣٦) كتاب (المغازي والسير) باب (سرية عبد الله بن جحش).

ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ، تح: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م:٣/ ٤٢ ــ ٤٦، و صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م:١/ ١٢٣ .

(٢) آل عمران/ ٢١ ــ ٢٢ .

والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضا الذين يأمرون الناس بالقِسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح ، وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، أي أنه لم يبق لحسناتهم أثر في الدنيا حتى يعاملوا فيها معاملة أهل الحسنات لعدم الإسلام بل عوملوا معاملة أهل السيئات فلعنوا وحل بهم الخزي والصغار، ولهم في الآخرة عذاب النار ، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين[1]

فعبارة الآيتين واضحة، وفيها نعي على الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون أنبياءه ومن يأمر بالقِسط من الناس، وتقرير حبوط أعمالهم واستحقاقهم عذاب الله،

دون أن يكون لهم أي نصير منه.

صحيح أن الآيتين الكريمتين تتحدث عن صفات اليهود ونحوهم ، إلا أن الخطاب

(١) ينظر :أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١، ١٤١٨ ه :٢/ ١٠ ، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م:٢/ ٢٠٨ ــ ٢٠٩ .

القرآني شامل لكل زمان ومكان ، فإن الآيتين الكريمتين تحذر وتذم كل من يكفر بآيات الله ويناوئ دعاة الحق والخير والصلاح ويعتدي عليهم في كل ظرف ومكان، فلا شك أنه ستحبط أعماله في الدّنيا والآخرة، ففي الدّنيا الذّم والخزي واللعن، وفي الآخرة العذاب الأليم .

٣ ــ قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١)

أي قل أيها الرسول لهؤلاء الذين يجادلونك بالباطل من أهل الكتابين اليهود والنصارى: هل نخبركم بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ثواباً وفضلاً، فنالوا به هلاكاً وبواراً كالمشتري سلعة يرجو بها ربحاً، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله؟

وخلاصة ذلك- إنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، وظنوا أنهم بفعلهم هذا مطيعون له، وأنهم يحسنون صنعا، ثم استبان لهم أنهم كانوا مخطئين، وفى ضلال مبين، وأن سعيهم الذي سعوه في الدنيا ذهب هباءً .

وسبب بطلان سعيهم أن هؤلاء الأخسرين أعمالاً هم الذين كفروا بالدلائل المنبثة في الآفاق والأنفس التي تدعو إلى توحيده، وكفروا بالبعث والحساب وما يتبع ذلك من أمور الآخرة، ومن ثمّ حبطت أعمالهم، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها، بل لهم منها عذاب وخزي طويل، ولا تثقل بها موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهم منها شيء.

(١) الكهف/ ١٠٣ ــ ١٠٦ .

ثم بيّن مآلهم بسبب كفرهم وسائر معاصيهم إثر بيان أعمالهم المحبطة بذلك الكفر، أن جازاهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم رسل الله ومعجزاتهم التي أظهرها على

أيديهم هزؤاً وسخرية، فلم يكتفوا بالكفر بها، بل ارتكبوا هذه الحماقة التي هي أعظم أنواع الاحتقار[1]

فمن الناس من يعمل العمل، وهو يظن أنه محسن، وقد حبط سعيه، فسبب خسارة أعمال أهل الضلال هو الكفر بآيات الله وبالبعث، فعقاب هؤلاء الضالين نتيجة أعمالهم الباطلة : إحباط الأعمال، لا كرامة ولا اعتبار لهم، العذاب في نار جهنم، فلا ثواب على أعمالهم ولا نفع فيها، ولا يقيم الله عز وجل لهم وزنا، ويصلون جهنم . فلا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه ، وفي الحديث الشريف ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [2][3]

وهكذا تشير الآيات القرآنية التي ذكرناها إلى إحباط الأعمال أي إفسادها بسبب

(١) روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي أ المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت ، (د.ت.ط) :٥/ ٣٠٤ ، و تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م:١٦/ ٢٣ ــ ٢٤ .

(٢) الكهف/ من الآية ١٠٥ .

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت٢٥٦ه) ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣،١٤٠٧ – ١٩٨٧: ٤/ ١٧٥٩ برقم (٤٤٥٢) كتاب(التفسير) باب (سورة الكهف) .

أفعال أصحابها ، فـــ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [1] فكل إنسان مرهون بعمله عند الله- تعالى- فإن كان عمله صالحاً سعد وفاز ، وإن كان غير ذلك جوزي على حسب عمله وسعيه.

وتوجد آيات أخرى كثيرة تحذر وتذم من أحبط عمله ، إلا أننا نكتفي بما ذكرناه خشية الإطالة .

المطلب الثاني : أنواع إحباط الأعمال

إحباط العمل على أنواع ، منها [2] :

الأوّل: أن تكون الأعمال دنيويّة (ليست صادرة عن ذي دين) فهي لا تغني شيئاً يوم القيامة، وقد أشار المولى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [3] فالله تعالى يبين السبب في وبالهم وخسرانهم، فقال: أي: وقدمنا وقصدنا وعمدنا- بإرادتنا وحكمتنا إلى ما عمله هؤلاء الكافرون من عمل صالح في الدنيا- كالإحسان إلى الفقراء، والإنفاق في وجوه الخير- فجعلناه باطلاً ضائعاً، ممزقاً كل ممزق، لأنهم فقدوا شرط قبوله عندنا، وهو إخلاص العبادة لنا.

فقد شبه- سبحانه- أعمالهم الصالحة في الدنيا في عدم انتفاعهم بها يوم القيامة- بالهباء المنثور، الذي تفرق وتبدد وصار لا يرجى خير من ورائه لحقارته وتفاهته [4]

(١) الطور/ من الآية ٢١ .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـــ لبنان ، (د.ت.ط) :١٠٦ ، وبصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي:٢/ ٤٢٤.

(٣) الفرقان / ٢٣ .

(٤) ينظر :تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد

الثّاني: أن تكون أعمالاً أخروية لا يقصد بها صاحبها وجه الله (وذلك كأعمال الرّياء)، ففي الحديث الشريف((عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ.

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[1]

الثّالث: أن تكون أعمالاً صالحة يكون بإزائها سيّئات تزيد عليها، وهو المشار إليه بخفّة الميزان ، قال تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]

الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م :٢٠/ ١٧ ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١، (د.ت.ط) :١٠/ ١٨٨ .

(١) صحيح مسلم:٦/ ٤٧ برقم (٥٠٣٢) كتاب(الإمارة) باب(مَنَ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ).

(٢) الأعراف/ ٨ ــ ٩ .

فوزن الأعمال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جَوْر معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفَّة حسناته على كفة سيئاته فأولئك هم الذين فازوا ونجوا ، ومن رجحت عند الوزن كفّة سيئاته على كفة حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم القيامة، بسبب جحدهم بآيات الله[1]

فالنوع الأول مما ذكرنا يبطله الله تعالى، لأنه لم يستند إلى إيمان، فكل عمل لا يزكّيه الإيمان، هو عمل مردود على صاحبه .

والنوع الثاني وإن كان يُراد به ثواب الآخرة ، إلا أن الله تعالى يبطله أيضاً ، لأنه لم يُرد به وجه الله تعالى ، لأن من شروط قبول العمل أن يكون خالصاً لله تعالى ،

فينبغي للعبد أن يكون عمله، وقوله، وإعطاؤه، ومنعه، وحبه، وبغضه لله وحده، لا شريك له؛ لأن الأعمال لا تقوم إلا بالنيات ، فلا اعتبار للعمل إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله تعالى ، أما إذا كان المقصود به الرياء أو السمعة ، فهو باطل من أساسه بالكلية ،ويفضح الله صاحبه يوم القيامة بين الخلائق ، فعلى العبد أن يتقي الرياء ويخلص العمل لله تعالى فإن الرياء من الأعمال الدنيئة التي تهبط بالإنسان إلى أسفل الدرجات .

أما النوع الثالث فالله تعالى يبطله أيضاً ، لأن سيئات صاحبه غلبت حسناته ، فخفت موازين أعماله بسبب كفره ومعاصيه .

ولننتقل إلى مبحث آخر نتحدث فيه عن أسباب إحباط الأعمال ووسائل حفظ الأعمال عن الإحباط فإلى هناك .

---

(١) ينظر: بحر العلوم ،أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي(ت٣٧٣هـ) تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت،(د.ت.ط):١/ ٥٢٠ ــ ٥٢١ ، و مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٣، ١٤٢٠ هـ: ١٤/ ٢٠٢ ــ ٢٠٤ .

المبحث الثاني: أسباب إحباط الأعمال ووسائل حفظ الأعمال عن الإحباط

حبوط العمل يقتضي بطلان الأجر ، وذهاب الثواب ، فهو مرض خطير ، وللوقوف على أسباب هذا المرض الخطير، ومعرفة ما يترتب عليه ، لا بد من الرجوع إلى آيات القرآن الكريم التي حذرت منه كل التحذير ، وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الآتي :

المطلب الأول : أسباب إحباط الأعمال

من يتأمّل آيات القرآن الكريم الواردة في إحباط الأعمال يتّضح له أنّ هناك أسباباً عديدة تؤدّي لبطلان الأعمال وفقدان ثوابها ، ممّا ينتج عنه خيبة أصحابها وخسرانهم في الدّنيا والآخرة، ومن تلك الأسباب :.

١ ـــ الشرك ، قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]

فالمشركون بما في قلوبهم من كفر، ليسوا أهلا لأن يدخلوا بيوت الله ويعمروها.. إذ كيف يكفرون بالله، ثم يعمرون مساجده؟ ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ هو حال من أحوالهم التي يدخلون بها المساجد، وهى أنهم يدخلونها وهم كافرون بالله..

وشهادتهم على أنفسهم ينطق بها حالهم وأفعالهم، وإن لم تنطق بها ألسنتهم، فهم يدخلون بيت الله، ثم يسجدون فيه لغير الله، مما يعبدون من أوثان وأصنام.. وهذا العمل منهم أبلغ شهادة عليهم بالكفر والضلال.. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ أي بطل كل عمل لهم، وانقلب شرّاً ووبالاً عليهم فتلك هي ثمرة ما

(١) التوبة / ١٧

كانوا يعملون.. النار، والخلود في النار[1]

فلا ثواب للمشركين في الآخرة على أعمال البر التي تصدر عنهم في الدنيا، لأنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، ولم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة ، بل عبدوا الأصنام ، واستقسموا بالأزلام ، فهؤلاء المشركون حبطت أعمالهم وبطلت .

فـ « إن العبادة تعبير عن العقيدة ، فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة ، وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء »[2]

٢ ــ أن يكره الإنسان ما أنزل الله ، قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[3] أي: كرهوا قبول ما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ ، وهو القرآن الكريم وما فيه من أحكام شرعية ، فكفروا به فأحبط الله أعمالهم؛ أي: أبطلها وأتلفها أي: هذا الذي فعلنا بهم، لأنهم كرهوا القرآن الكريم وأوامره ونواهيه [4] فأي إنسان يكره حكماً

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م :١٤/ ١٦٥ ــ ١٦٦، و التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت.ط) :٥/ ٧١٧ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي (ت : ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ــ القاهرة، ط٣٢ ، ٢٠٠٣م: ٣/ ١٦١٤.

(٣) محمد/ ٩ .

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) ، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م:١١/ ٦٨٩٢.

شرعياً أنزله الله عزوجل ، يحبط عمله ، بل ينبغي له أن يتبع أوامر القرآن الكريم كأداء الصلاة والزكاة والأمانة والصدق والعدل وغض البصر وغيرها من الفضائل، ويتجنب نواهيه كالقتل والسرقة والخيانة والغش وغيرها من الرذائل .

٣ ــ اتباع ما أسخط الله ، قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] فَكَيْفَ أي: يفعلون ويدفعون ضرر الردة عليهم ﴿ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ أي: التي ولوها عن الله إلى أعدائه ﴿ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ أي التي ولوها عن الأعداء إلى الله ، ذلِكَ أي التوفي الهائل ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾ أي من إطاعة أعدائه، ﴿ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ أي في معاداتهم، فأدى بهم إلى الردة ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي التي كانت تنجيهم من ذلك الضرب، ومن الفضائح الدنيوية[2] وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه.

٤ ــ اتباع أهل الضلال ، قال تعالى ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا

(١) محمد / ٢٧ ــ ٢٨ .

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ:٤/ ٢١٧ ، و محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ :٨/ ٤٧٧ .

﴿ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] أي : إن حالكم - أيها المنافقون - كحال أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاق والكفر، فإنهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، استمتعوا بما قُدِّر لهم من حظوظ الدنيا، وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد استمتعتم بما قُدِّر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل، إنهم قد بطلت أعمالهم، فلم تَنْفعهُم في الدنيا ولا في الآخرة، وكانوا هم الخاسرين، وأنتم مثلهم في سوء الحال والمآل [2]

فالآية الكريمة توضح لنا تشابه حال البشر وإتباع بعضهم لبعض في الباطل، مما يؤدي إلى إحباط الأعمال وهلاك أهلها ، لذلك ينبغي للإنسان أن يتعظ ويعتبر بأحوال السابقين بما لاقى أهل الكفر منهم من عذاب.

٥ ــ الكفر والصدّ عن سبيل الله تعالى ومشاقة الرسول ﷺ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلاً إليه ﴿ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾

أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال، فإنهم ﴿ لَن يَضُرُّوا۟

(١) التوبة / ٦٩ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ ه: ٣/ ٥٦ ــ ٥٧ ، وـزهرة التفاسير ، محمد بن= =أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، (د.ت.ط) : ٧/ ٣٣٦٦ ــ ٣٣٦٨ .

(٣) محمد / ٣٢ .

﴿ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ فلا ينقص به ملكه، وسيحبط مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها [1]

فالمؤمنون مأمورون دائماً بلزوم الطاعة في أوامر اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ، منهيون عن إبطال حسناتهم بالمعاصي، فطاعته ﷺ من طاعة الذي أرسله وهو الله عزوجل، فإذا فعل الإنسان ذلك فقد حصن نفسه وعمله.

٦ ــ سوء الأدب مع الرسول ﷺ ورفع الصوت في حياته وبعد مماته، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [2] في الآية الكريمة شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي ﷺ، بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل، وإعادة النداء مع قرب العهد للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه، أي: لا تبلغوا بأصواتكم وراء حدٍّ يبلغه صوته ﷺ، بل يكون كلامه عالياً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم، حتى تكون مزيّته عليكم لائحةً، وسابقته لديكم واضحة، ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ إذا كلّمتموه ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ أي: جهراً كائناً كالجهر الجاري فيما بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته، واختاروا في مخاطبته القول اللين القريب من الهمس، كما هو الدأب في مخاطبة المهابِ المُعظّم، وحافظوا على مراعاة هيبة النبوة وجلالة مقدارها، بأن تنادوه يا نبي الله وليس يا محمد، لأن ذلك من وجوب حقه ﷺ على الأمة، ووجوب الإيمان به، والحب الذي لا

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠،١هـ ــ ٢٠٠٠ م: ٧٨٩.
(٢) الحجرات / ٢.

يتم الإيمان إلا به، فإن في عدم القيام بذلك، محذوراً، وخشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه، من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال[1]

فالآية الكريمة سلكت مسلك الأمر والنهي في تقرير هذا الأدب؛ فنهت عن رفع الصوت من جهة، وأمرت بغض الصوت بين يدي النبي ﷺ من جهة أخرى، فينبغي لنا أنه إذا ذكر رسول الله ﷺ بيننا أو ذكر حديثه أن نتأدب عند ذلك فلا نضحك ولا نرفع الصوت، ولا نظهر أي استخفاف أو عدم مبالاة وإلا يخشى علينا أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر.

٧ ــ الردة ، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[2] وقد تحدثنا عن تفسير هذه الآية في المطلب الأول من المبحث الأول من هذا البحث (إحباط الأعمال في القرآن الكريم) بما يغني عن إعادته هنا خشية الإطالة (فإن من ذاق حلاوة الإيمان لا يسهل عليه رجوعه

(١) ينظر: البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ه) ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، ط١ ١٤٢٢ه ــ ٢٠٠١ م:٨/ ١٠٥ ــ ١٠٦ ، و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، القاهرة، ط١٤١٩ هـ:٥/ ٤١٤ ــ ٤١٥ .

(٢) البقرة / ٢١٧ .

عنه، ومن عرف الحق لا يرجع عنه إلاّ بعناء)[1]

٨ ــ النفاق ، قال تعالى﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[2] أي من يعوّق عن نصرة رسول الله ﷺ أي يمنع وهم المنافقون ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ في الظاهر من المسلمين، أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لا يَأْتُونَ الحرب إلا إتياناً قليلاً، أي يحضرون ساعة رياء، ويقفون قليلاً مقدار ما يرى شهودهم، ثم ينصرفون﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ أي بخلاء

بالمودة والشفقة والنفقة لمصلحة القتال ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[3] أي فَإذا جاءَ الْخَوْفُ من قبل العدو ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ في تلك الحالة ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ يميناً وشمالاً كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت؛ حذراً وخوفاً ﴿ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ أي من شدة خوفه وجزعه.

وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي فإذا زال ذلك الخوف وأمنوا خاطبوكم مخاطبة شديدة، وآذوكم في الكلام؛

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور:٢/ ٣٣٢.
(٢) الأحزاب / ١٨ ــ ١٩ .
(٣) الأحزاب / من الآية ١٩ .

منتقدين معترضين مجرّحين مطالبين راغبين طامعين ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي على المال والغنيمة، قائلين في خطابهم: وفّروا قسمتنا فإنّا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم، وبمكاننا غلبتم عدوكم، فهم في الحرب أجبن شيء، وفي السلم أطمع شيء، فهم عند الغنيمة أشح قوم وأسوأهم مقاسمة ، يقولون فقط أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أي لَمْ يُؤْمِنُوا في الحقيقة بل بالألسنة فَأَبطل اللَّهُ أَعْمالَهُمْ بسبب إضمارهم الكفر بما أظهروه من الأعمال وَكانَ إحباط أعمالهم عَلَى اللَّهِ هيّناً سهلاً[1]

وهذا الصنف من الناس موجود في كل زمان ومكان ، وهم المخذلون ، يدعون إلى القعود ، فلا يأتون للجهاد إلا رياء ، فيقفون قليلاً حتى يراهم الناس ، ثم ينصرفون بعد ذلك ، فهم جبناء بخلاء ، لا يبذلون شيئاً من طاقتهم وأنفسهم وأموالهم في نصرة الدين، والسبب في ذلك أن قلوبهم لم تعرف الإيمان الحقيقي ، ولم يهتدوا بنوره ، فأحبط الله أعمالهم .

٩ ــ إرادة الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2] أي من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أي: بعمله الذي يعمل من أعمال البرّ ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ التي عملوها من خير

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تح: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ه :٦/ ٣٤٩ــ ٣٥٠ ، والأساس في التفسير ، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ) ، دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ه:٨/ ٤٤٠٢ ــ ٤٤٠٣ .

(٢) هود/ ١٥ ــ ١٦ .

كصدقة وصلة رحم ﴿ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ أي: في الدنيا ، فنوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك ﴿ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ ﴾ أي: بطل ﴿ مَا صَنَعُوا۟ ﴾ أي: عملوا ﴿ فِيهَا ﴾ أي: الآخرة فلا ثواب لهم ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه لغير الله تعالى[1] فإن من قصد الدنيا وحدها وأتى بأعمال الخير ، يكافأ بها في الدنيا ككثرة الرزق ، والصحة الجيدة، وغيرها، لكن لا حسنة له في الآخرة، ويحرم من ثمرة عمله فيها، فثواب الجنة يكون بتزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، واجتناب المعاصي ، فـ» الإسلام يدعو إلى إيثار العمل للآخرة على عمل الدّنيا، في النّيّة والقصد، فإن قصد الدّنيا والآخرة معاً كان ذلك مقبولاً شرعاً»[2] فهذه أهم أسباب إحباط الأعمال ، وقفنا عليها من خلال آيات القرآن الكريم، التي أشارت إليها ، وهي أعمال خطيرة ، لذلك ينبغي للمسلم الابتعاد عنها ، إذا أراد الفوز بالآخرة والنجاة من العذاب.

ولننتقل إلى مطلب جديد نتحدث فيه عن وسائل حفظ الأعمال عن الإحباط فإلى هناك .

المطلب الثاني : وسائل حفظ الأعمال عن الإحباط

ليفوز العبد بثواب الله تعالى ، ويستحق جنته ، لا يكفيه العمل ، فإن العمل قد يرد

(١) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ط١٢٨٥ هـ:٢/ ٤٩ ، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت.ط) :٤/ ١٩٢ ــ ١٩٤.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ :١٢/ ٣٩ .

عليه ما يحبطه ويذهبه ، كما بينا في المطلب السابق ، فـ (ليس الشأن في العمل ، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه)[1]

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى الوسائل الّتي تساعد على حفظ الأعمال عن الإحباط ، ومن أهمها :.

١ ــ الإيمان الحقيقي ، قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[2]

أي : تَحَقَّق الفلاح للمؤمنين بالله تعالى وبما جاءت به الرسل عليهم السلام، وفازوا بأمانيهم، الذين ضموا إلى إيمانهم العمل الصالح، فهم في صلاتهم متوجهون إلى الله بقلوبهم، خائفون منه، متذللون له، يَخُشُّون بالخضوع المطلق له، وهم مؤثرون للجد، معرضون عمَّا لا خير فيه من قول وعمل، وهم محافظون على أداء الزكاة إلى مستحقيها، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية، وبين تطهير النفس وتطهير المال، وهم يحافظون على أنفسهم من أن تكون لها علاقة بالنساء، إلا بطريق الزواج الشرعي أو بملكية الجواري فلا مؤاخذة عليهم فيه، فمن أراد الاتصال بالمرأة عن غير هذين

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت٧٥١ هـ) ، تح: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١٤٠٥ – ١٩٨٥: ٢٠ .

(٢) المؤمنون / ١ ــ ١١.

الطريقين فهو متعدٍ للحدود المشروعة غاية التعدي، وهم محافظون على كل ما ائتمنوا عليه من مال، أو قول، أو عمل، أو غير ذلك، وعلى كل عهد بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس، فلا يخونون الأمانات ولا ينقضون العهود، وهم مداومون على أداء الصلاة في أوقاتها، محققون لأركانها وخشوعها، حتى تؤدي إلى المقصود منها، وهو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، فهؤلاء الموصوفون هم الذين يرثون الخير كله، وينالونه يوم القيامة، هم الذين يتفضل الله عليهم بالفردوس، أعلى مكان في الجنة، يتمتعون فيه دون غيرهم[1]

فالآيات الكريمات تبين لنا أثر الإيمان في نفس صاحبه ، بحيث يجعله يخشع في صلاته لأنه أمام ربّه ويداوم على الصلاة لله فيظل يذكره ويمتنع نتيجة لذلك عن كل فحش وعبث ويؤتي الزكاة ويفعل كل ما هو حقّ وخير وبرّ وعدل وأمانة ووفاء، وهذه الصفات من أسس الدعوة الإسلامية، فلا يكفي الإيمان وحده ، بل لا بد من عمل ، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

٢ ــ التوكل على الله ، والأخذ بالأسباب ، فالتوكل هو إظهار العجز مع مراعاة الأسباب وتفويض الأمور إلى الله تعالى مع الإيمان المطلق بقدرة الله وكفايته لخلقه[2] فهو فعل الأسباب ثم الاعتماد على الله في حصول المقصود، أي أن الإنسان لا يعتمد على السبب ولا يعطله، فلا بد أن يفعل الإنسان السبب ولا يعتمد عليه، بل يعتمد على ربه

(١) ينظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً، التناري بلداً (ت: ١٣١٦هـ)، تح: محمد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،=١٤١٧ هـ : ٢/ ٨٣ ــ ٨٤ ، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر= =المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م :٥٠٢ ــ ٥٠٣ .

(٢) آيات التوكل في القرآن الكريم ــ دراسة وتحليل ، سعد محمد الزبيدي، رسالة ماجستير، إشراف: د. قوام الدين عبد الستار الهيتي، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، أصول الدين ، ١٤٢٠ه ــ ٢٠٠٠م: ١١ .

عزوجل في حصول المطلوب، فديننا الإسلامي يحثنا على ذلك

فرسول الله ﷺ كان في حروبه الطويلة العديدة لا يخوض معركة حتى يعد لها عدتها ويهيئ لها أسبابها ، فيختار حتى مكان المعركة وزمانها ، ومن الأمثلة الأخرى على مراعاة الأسباب ما حدث في هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة،

فقد اتخذ ترتيبات عدة، منها[1] :.

١ــ إحضار رفيق من خيرة الرفقاء، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنهليصحبه في طريقه

٢ــ إعداد الطعام والشراب ، ربطته أسماء بنت أبي بكر بنطاقها ،حتى سميت بذات النطاقين .

٣ــ إعداد راحلة للركوب عليها في هذا السفر الشاق الطويل.

٤ــ إحضار عالم بمسالك الطريق ،ليكون دليلاً في هذه الرحلة الصعبة.

٥ــ أمر ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تمويهاً على العدو.

٦ــ معرفة أخبار الناس في مكة عن طريق عبد الله بن أبي بكر الصديق ، فقد كان يستمع لما يقوله الناس في مكة نهاراً ، ثم يأتيهما بالأخبار مساءً .

٧ــ الدخول إلى غار ثور والاستقرار فيه حين علم بأن المشركين يبحثون عنه وعن صاحبه .

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣ه) ، تح: الشيخ احمد جاد، دار الغد الجديد ، مصر، ط١، ٢٠٠٣م : ٢/ ٨١ ــ ٨٧ ، و فقه السيرة، الإمام المحدث المفسر الفقيه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:= =٧٥١هـ) ، تح: د.عمر الفرماوي، مكتبة الإيمان ، مصر، ط١، ١٩٩٧م: ٧٨ ــ ٨١ ،و منهاج المسلم ، أبو بكر الجزائري ، دار إحياء التراث العربي،(د.ت.ط) :١٤٣ ،والسيرة النبوية ــ عرض وقائع وتحليل أحداث ، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة ، بيروت ط١١، ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م: ٢٦٨ ــ ٢٧٠ .

٨ــ لما قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو أن احدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا يا رسول

الله ــ فقال له ﷺ ((مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)) ففي الحديث الشريف ((عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ :قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا))[1]

فمن هذه الحادثة التي تجلت فيها حقائق الإيمان والتوكل معاً ، فيلاحظ أن الرسول ﷺ كان لا ينكر الأسباب ولا يعتمد عليها ، وعلى الرغم من كل هذه الأسباب التي اتخذها رسول الله فإنه لم يركن إليها مطلقاً ، وإنما كان كامل الثقة بالله عظيم الرجاء في نصره وتأييده .

٣ ــ عدم القنوط واليأس من رحمة الله ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]

أي :أخبر يا محمد عبادي المؤمنين الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام بأن لا ييأسوا من مغفرة الله ورحمته ، فالله تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء، وإن كانت مثل زبد البحر ، فهو عزوجل عظيم المغفرة واسع الرحمة، وظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله [3]

فهي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وأن الله تعالى يغفر

(١) صحيح البخاري :٣/ ١٣٣٧ برقم (٣٤٥٣) كتاب(فضائل أصحاب النبيﷺ) باب (مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنه) .

(٢) الزمر/ ٥٣ .

(٣) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ :١٢/ ٢٦٩، وصفوة التفاسير، الصابوني :٣/ ٧٨ .

الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت معاصيه وآثامه.

٤ ــ الدعاء مع العمل ، فالدعاء وحده لا يكفي ، بل لابد من العمل في مجال الخير والإحسان حتى يُستجاب للدعاء ، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (١)

فقد أشار النص القرآني إلى» أنه ليس مجرد التفكر ومجرد التدبر، وليس مجرد الخشوع والارتجاف، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات والنجاة من الخزي ومن النار.. إنما هو «العمل» العمل الإيجابي، الذي ينشأ عن هذا التلقي، وعن هذه الاستجابة، وعن هذه الحساسية الممثلة في هذه الارتجافة، العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكر والتدبر، والذكر والاستغفار، والخوف من الله، والتوجه

إليه بالرجاء، بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة، والذي يقبل من الجميع: ذكراناً وإناثاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس، فكلهم سواء

(١) آل عمران / ١٩٠ ــ ١٩٥ .

في الإنسانية- بعضهم من بعض- وكلهم سواء في الميزان.. ثم تفصيل للعمل، تتبين منه تكاليف هذه العقيدة في النفس والمال كما تتبين منه طبيعة المنهج، وطبيعة الأرض التي يقوم عليها، وطبيعة الطريق وما فيه من عوائق وأشواك، وضرورة مغالبة العوائق، وتكسير الأشواك، وتمهيد التربة للنبتة الطيبة، والتمكين لها في الأرض، أياً كانت التضحيات، وأياً كانت العقبات «[1]

فلا بد من العمل الصالح ، فقد وضع الله عزوجل الشرط الواضح وهو العمل، فمن يريد استجابة الله تعالى لدعائه فلابد له من العمل ، فالجزاء منوط بالعمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

٥ ــ اقتراب الفرج والثقة بنصره عزوجل ،قال تعالى﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [2] أي: إن مع الضيقة سعة ، ومع الشدة رخاء ، ومع الكرب فرج ، وفي هذا وعد منه سبحانه ، بأن كل عسر يتيسر ، وكل شديد يهون ، وكل صعب يلين ، ثم زاد سبحانه هذا الوعيد تقريراً وتأكيداً ، فقال مكرراً له بلفظ ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أي: أن مع ذلك العسر يسراً آخرَ ، وهذا مما تنطق به قواعد اللغة؛ لأَن العسر أُعيد معرفة، فكان واحدًا؛ لأَن المعرفة إِذا أُعيدت معرفة، كانت الثانية عين الأُولى، واليسر أُعيد نكرة، والنكرة إذا أُعيدت نكرة كانت الثانية غير الأُولى، والإِتيان بكلمة (مع) في الجملتين للإِيذان بغاية مقاربة اليسر للعسر زيادة في التسلية[3] ففي هاتين الآيتين بشارة

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ١/ ٥٤٨ ــ ٥٤٩ .

(٢) الشرح / ٥ ــ ٦ .

(٣) ينظر : فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط١، ١٤١٤ هـ :٥/ ٥٦٤،والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م):١٠/ ١٩٥٦.

عظيمة، فكل إنسان وجد عسر وصعوبة ، ينبغي له أن يعلم أن مع العسر يسراً دائماً ، وما تعانيه الشعوب الإسلامية اليوم ، من نكبات وأزمات وتشريد وتقتيل لأبنائها ، عليها أن تعلم أن نصر الله تعالى قريب ، وأن الفرج يأتي مع الكرب ، وأن الله تعالى سيمن على المستضعفين في الأرض، قال تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [1] فرجاء المؤمن في الفرح دائم.

٦ ــ معاودة السعي مرات ومرات لتحقيق المبتغى ، وقدوتنا في ذلك الأنبياء عليهم السلام ، فقد تعرضوا للكثير من مواقف الإحباط ، ولكنهم لم ييأسوا من رحمة الله تعالى ومن إمكاناتهم، قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [2] فالأنبياء عليهم السلام استمروا في طريق الدعوة بكل ما أوتوا من قوة لإيصال الرسالة التي كلفوا بها، ولولا قوة عزمهم لضاقت بهم الأرض بما رحبت ، ولتوقفت دعوتهم منذ اللحظات الأولى في مسيرتهم، فليس لنا أسوة خير من أنبياء الله تعالى في صبرهم وتحملهم الأذى، ومواجهة مواقف الإحباط وكيفية تجاوزها، فنتأمل قصة نوح عزوجل مع قومه الذين لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ويذكرهم بالله، وما آمن معه إلا قليل! ونتذكر قصة سيدنا محمد ﷺ مع قريش وعداءهم له وإيذاءه وإخراجه من بلدته، ونتدبر قصة غيرهم من الأنبياء عليهم السلام لنأخذ العبرة وقوة التحمل .

هذه مجموعة من الوسائل المعينة لمواجهة الإحباط ، وهناك وسائل أخرى كثيرة ، إلا أننا نكتفي بما ذكرناه خشية الإطالة .

(١) القصص/ ٥ .
(٢) يوسف/ من الآية ٨٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، أحمده على توفيقه وإحسانه وأصلي وأسلم على من فاق البشر بأقواله وأفعاله وجميع أحواله .

أما بعد :

فبعد الانتهاء من دراستي (إحباط الأعمال في القرآن الكريم) يمكنني أن أجمل أهم ما توصلت إليه من نتائج :

١ - إن الأعمال الصالحة التي يستحق صاحبها الأجر والثواب عليها ، يعرض عليها ما يبطلها ، ويحرم صاحبها من ثوابها وأجرها ، فلا بد أن يحرص المرء على حفظ عمله ، حتى لا يأتي عليه ما يذهب أجره .

٢ ــ الإنسان مخير في عمله ، فالله تعالى بين له طريق الحق وطريق الضلال ، وهو محاسب على كسبه واختياره ، فمن اختار طريق الهدى ، أثابه الله عليه من جنسه ،ومن اختار طريق الضلال ، جزاه الله عليه من جنسه، فالجزاء من جنس العمل .

٣- إن من أهم أسباب إحباط الأعمال الشرك واتباع ما يسخط الله تعالى ، ومشاققة الرسول ﷺ وسوء الأدب معه ، والردة وغيرها من الأسباب .

٤ ــ هناك وسائل عديدة لحفظ الأعمال عن الإحباط ، من أهمها الإيمان بالله والتوكل عليه وعدم القنوط واليأس من رحمته وغيرها من الوسائل .

والله ولي التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

ـــ بعد القرآن الكريم .

١ ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت.ط) .

٢ ـــ الأساس في التفسير ، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ) ، دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ه.

٣ ـــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١، ١٤١٨ ه .

٤ ـــ بحر العلوم ،أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي(ت٣٧٣ه) تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت،(د.ت.ط).

٥ ـــ البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ه) ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، ط١، ١٤٢٢ه ـــ ٢٠٠١ م.

٦ ـــ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، القاهرة، ط١٤١٩ هـ.

٧ ـــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) ، تح :محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(د.ت.ط) .

٨ ــ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس ، ط١٩٩٧ م.

٩ ــ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تح: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ه .

١٠ ــ التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت.ط) .

١١ ــ تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٢ ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

١٣ ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

١٤ ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١، (د.ت.ط) .

١٥ ــ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٦ ــ التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

١٧ ــ تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١، ٢٠٠١م .

١٨ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م.

١٩ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط١٤٢٠،١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٠ ــ الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت:٦٧١هـ)، تح: هشام سمير البخاري،دار عالم الكتب، الرياض،المملكة العربية السعودية،ط١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢١ ــ روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي أ المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت ، (د.ت.ط) .

٢٢ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ .

٢٣ ــ زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، (د.ت.ط).

٢٤ ــ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ط١٢٨٥ هـ .

٢٥ ــ السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣ه) ، تح: الشيخ احمد جاد، دار الغد الجديد ، مصر، ط١، ٢٠٠٣م .

٢٦ ــ السيرة النبوية ـــ عرض وقائع وتحليل أحداث ، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة ، بيروت ط١١، ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م .

٢٧ ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م .

٢٨ ــ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت٢٥٦ه)، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط١٤٠٧،٣ – ١٩٨٧م.

٢٩ ــ صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(٢٦١ه) ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، (د.ت.ط).

٣٠ ــ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م .

٣١ ـــ فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ط ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م .

٣٢ ــ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط١، ١٤١٤ هـ .

٣٣ــ فقه السيرة، الإمام المحدث المفسر الفقيه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تح: د.عمر الفرماوي، مكتبة الإيمان ، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٣٤ ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي (ت : ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ــ القاهرة ، ط٣٢ ، ٢٠٠٣م.

٣٥ ــ كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،(د. ت. ط) .

٣٦ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط٣، ١٤٠٧ه .

٣٧ ــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)،تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ،(د. ت. ط) .

٣٨ ــ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت، ط١٤١٤،٣ هـ.

٣٩ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧ه) ، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ .

٤٠ ــ محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ .

٤١ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ ه.

٤٢ ــ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨ه)، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٣ ــ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً، التناري بلداً (ت: ١٣١٦هـ)، تح: محمد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ .

٤٤ ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٤٥ ــ المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني(ت: ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ،ط٢، (د.ت.ط) .

٤٦ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٣، ١٤٢٠ هـ .

٤٧ ــ المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـــ لبنان ، (د.ت.ط) .

٤٨ ــ مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٩ ــ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٥٠ ــ منهاج المسلم ، أبو بكر الجزائري ، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.ط) .

٥١ ــ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٢، ١٣٩٢ه.

٥٢ــ النهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٥٣ ــ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) ، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٤ ــ الوابل الصيب من الكلم الطيب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت٧٥١ هـ) ، تح: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٥٥ ــ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د.عبد الرحمن

عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

١ــ آيات التوكل في القرآن الكريم ـــ دراسة وتحليل ، سعد محمد الزبيدي، رسالة ماجستير، إشراف : د. قوام الدين عبد الستار الهيتي، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، أصول الدين ، ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م.